

## 129319 - أمه تسيء إلى زوجته وأهلها؟!

### السؤال

تعاني زوجتي من أذية والدتي لها كلاميا بالكلام الجارح والتصرفات الغير لائقة بغير وجه حق وبالظلم وبالظن السوء إلى أن تدعى هذا الأذى إلى أهل زوجتي. فصارت والدتي توجه لزوجتي اتهامات غير لائقة وغير حقيقية لأهل زوجتي فقامت زوجتي بقطع علاقتها بوالدتي مع العلم أن زوجتي كانت صابرة على أذية والدتي لها عدة سنين إلى أن فاض الكيل بتطاول والدتي على أهل زوجتي. مع العلم أنني أصل والدتي بالزيارة والتليفون وأقوم ببرها بعد ذلك لم تتوقع والدتي بقطع هذه العلاقة فقامت بإلقاء اللوم علي بأنني سمحت لزوجتي بقطع هذه العلاقة وأدخلت رضاها برجوع زوجتي لها وأنها لن ترضي عنني إلى يوم الدين إذا لم أجعل زوجتي تعود بالزيارة مع أنني لا أحب أن أضغط على زوجتي تاركا لها الخيار وصارت أمي تدعو علي بدون ذنب اقترفته.

وسؤالي هو : هل هناك حرمانية في قطع زوجتي لأمي أو ما الحكم في ذلك؟ السؤال الثاني هل لوالدتي الحق في إدخال رضاها عن برجوع زوجتي لها بالزيارة مع العلم أنني لازلت أدعو لها في الصلاة وأتصدق عنها؟

السؤال الثالث في حال أصرت زوجتي على رأيها في القطيعة هل يترتب علي ذنب من غضب أمي علي؟ أرجو منكم إفادتي لكم الأجر والمثوبة من الله

### الإجابة المفصلة

أولاً:

لاشك - أيها الأخ الكريم - أن أمثال هذه المشاكل العائلية ، وتلك التنجيصات الأسرية ، مما يكدر العيش ، ويشغل البال ، ولكن بنوع من الحكمة ، مع حسن التصرف ، وبمزيد من التعقل ، والاستقامة على طريق العدل ، والصبر الجميل في سبيل إرضاء من لها أعظم الحق عليك - وهي الأم - وإرضاء سكنك وموضع مودتك وسرك وأم ولدك - وهي الزوجة - يمكننا احتواء المشكلة ، والتعامل معها بأحسن الذي يمكننا أن نتعامل به مع مشاكلنا .

ثانياً :

يلزمنا - أصلحنا الله وإياكم - تعريف كل طرف بحق الآخر ، فتعرف الأم الكريمة أن لزوجة ابنها حقا فرضه الله ، وأوصى به رسول الله ، وتعرف الزوجة الفاضلة أن للأم حقا فرضه الله ، وأكده عليه رسول الله .

ثم لتعرف كل منهما أن الله إذ أوجب الحقوق لأصحابها ، منع من الظلم والعدوان ، ومن تدعى حدود الله حدتها لعباده ، والواجب الوقوف عند حدود الحق ، فلا يتعدى ذو حق حده ليتعتدي على حق غيره .

ثالثاً :

التماس البيان والتوضيح بميزان القسط الذي بينه الشرع ، من كون العبد لا يكمل إيمانه الصحيح حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه .

فأنت - يا أمي - هل ترضين لأحد - كائناً من يكون - أن يوجه إليك الكلام الجارح ؟ أو يسيء إليك بالتصرفات غير اللائقة ؟ أو يذكر أهلك بسوء ؟ ونحو ذلك ؟

وأنت - أيتها الزوجة العزيزة - أيرضاك أن تسخط عليّ أمي فلا ترضي ، وتدعوا عليّ بدلاً من أن تدعوني لي ؟ وهل ترضين لنفسك هذا الحظ الوكس ، مهما كانت الأسباب ؟

ونحو ذلك التدبير الذي تستطيع به أن تلجم إلى قلبي أهلك أمرهما ، وشغلك غضبهما .

دون أن تتعرض للمسيء - وخاصة الأم - بالتصريح بالظلم والعدوان ، وتقبيح الحال المفضي إلى التعدي ونحو ذلك مما يعقد الأمور ويفسد القضية .

ولكن .. الحكمة والموعظة الحسنة .

ثم تهمس بأذن الزوجة قائلاً لها بلسان المحرض على العفو والمسامحة :

قد قال الله تعالى : ( وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ اذْفَعْ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْتَكَ وَبَيْتَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ ) ( فصلت: 34 ) .

وقال رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًا ) رواه مسلم ( 2588 ) .

وفي حديث آخر : ( وَلَا ظُلْمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًا )

رواه الترمذى ( 2325 ) وصححه الألبانى .

وتبيّن لها أن العفو أحب إلى الله وأرضى ، وأنك إنما تعفين عن أحب الناس إليّ ، وهي أمي ، وأن ذلك لا يزيدك عندي إلا كرامة .

رابعاً :

لا يجوز لزوجتك أن تقطع علاقتها بأمك بالهجر والخصام ؛ فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ليال ، كما هو معلوم ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

( مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَيِّئَةً فَهُوَ كَسَفِكِ دَمِهِ ) رواه أبو داود ( 4915 ) وصححه الألبانى .

وقال أيضاً : ( لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرْ مُسْلِمًا فَوْقَ تَلَاثٍ لَيَالٍ ، فَإِنَّهُمَا نَائِكَبَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا ، وَأَوْهُمَا فَيْئًا يَكُونُ سَبَقُهُ بِالْأَقْبَاءِ كَفَارَةً لَهُ ، وَإِنْ سَلَمَ قَلْمَ يَقْبِلُ وَرَدَ عَلَيْهِ سَلَامَةً رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَرَدَ عَلَى الْأَخْرِ الشَّيْطَانُ ، وَإِنْ مَا تَأَتَ عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَدْخُلَا )

الجَنَّةَ جَمِيعاً أَبْدَأْ ) رواه أحمد (15824) وصححه الألباني في الصحيحة (1246).

ولكن إذا كانت المخالطة بينهما تؤدي دائمًا إلى إيذاء الزوجة ، والحقيقة بأهلها ، فإن هذا مما لا يجوز حدوثه من قبل الأم ، كما لا يجوز السكوت عنه من قبلك ، فإن حقوق الناس محترمة ، ومن آذى مسلماً بغير حق انتصف منه يوم القيمة .

ومعلوم خبر المفلس الذي يأتـي يوم القيـمة بصلـة وصـيـاـم ورـكـاـة، ويـأـتـي قـدـشـم هـذـا وـقـدـفـهـذـا وـأـكـلـمـالـهـذـا وـسـفـكـدـمـهـذـا وـصـرـبـهـذـا، فـيـعـطـيـهـذـا مـنـحـسـنـاتـهـ وـهـذـا مـنـحـسـنـاتـهـ، فـإـنـقـبـيـثـحـسـنـاتـهـ قـبـلـأـنـيـقـضـيـمـاـعـلـيـهـأـخـدـمـنـحـطـاـيـاـهـمـ قـطـرـحـتـعـلـيـهـثـمـ طـرـحـفـيـالـتـارـ.

فلا بد أن تنبئ الوالدة إلى هذا الخطر العظيم ، وأن توعظ في هذا الأمر بالعبارة الرقيقة الممزوجة بالتخويف من الله .

وعلى ذلك : فإذا أصرت الأم على هذه الحال مع الزوجة ، فإن الصواب عدم تمكينها من ذلك ، بمنع الزوجة من الذهاب إليها والدخول عليها ، ولا حرج على الزوجة . حينئذ - في ترك مخالطتها وزيارتها والذهاب إليها ؛ فإن هذا غير واجب عليها من حيث الأصل ، وإنما الواجب ترك الهرج من غير سبب شرعي ببيحه .

ونحن لو قدرنا تجاوز الزوجة وعفوها ، وتنازلها عن حقها ، فكيف بحق أهلها ؟ وما ذنبهم أن يعابوا ويهانوا ويدركوا بالمكروه بالغيب دون جريرة فعلوها أو إثم ارتكبوا ؟

لكن إذا قدر أنهم اجتمعوا في مكان - الزوجة والأم - فعل الزوجة أن تسلم عليها إذا لقيتها؛ فخيرهما الذي يبدأ بالسلام، وإذا كلمتها أو سلمت عليها الأم: وجب عليها أن ترد سلامها وتحيتها.

وَلَا يضرك - حينئذ - تهديد الوالدة بالدعاء عليك ، وعدم الرضا عنك ؛ فإن الله حرم الظلم على نفسه ، وجعله بين الناس محurma ، وأخبر أنه لا يحب الظالمين ، وقد قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِيْنَ لِلَّهِ شَهِدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِي مِنْكُمْ شَيْءٌ قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدُلُوا اعْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىِ) المائدة/8

والمعنى: قوموا لله بالعدا، في أقوالكم وأفعالكم، وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصدقة، والعدو.

وَلَا يَحْمِلُنَّكُم بِغَضْبِ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا، بَلْ كَمَا تَشَهِّدُونَ لَوْلَيْكُمْ، فَأَشَهَّدُوا عَلَيْهِ، وَكَمَا تَشَهِّدُونَ عَلَىٰ عُدُوكُمْ فَأَشَهَّدُوا لَهُ، وَلَوْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُتَدَعِّيًا، فَإِنَّهُ بِحَدِّ الْعِدْلِ فَهُوَ.

راجع: "تفسير السعدي" (ص 224)

وأيضاً: فكما لا يجوز أن يحملكم بغضّ قوم على ترك العدل، فكذا لا يحملكم حبّ آخرين على تركه، ولكن اعدلوا في كل حال.

ولا شيء عليك في ذلك كله ، إذا كنت قد اجتهدت في الإصلاح ما استطعت ، ثم عجزت عنه ، ولو تهديتك الوالدة بالدعاء عليك ونحو ذلك ، فإن الله تعالى لا يجيز من دعا بآثم أو قطيعة رحم .

ولكن لا بد من مراعاة تمام البر لها ، والصبر على ما يقع منها من مكره ، واحتمالها على كل حال .

والله الهادي إلى سوء السبيل.

راجع السؤال رقم : (82453)

تنبيه :

قول السائل : (أني لازلت أدعو لها في الصلاة وأتصدق عنها) : أما الدعاء فحسن جميل ، وهو من البر بها ، ولكن الصدقة عنها في حياتها شيء لا يعرف عن السلف ، وإنما المعروف التصدق عن الميت ، كما روى البخاري (2760) ومسلم (1004) عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رجلاً قال لثبٍي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أُمِّي افْتَلَثَتْ نَفْسَهَا (ماتت فجأة) وَأَرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ أَفَأَتَصَدِّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ تَصَدُّقُ عَنْهَا .

قال النووي :

”وفي هذا الحديث : أنَّ الصَّدَقَةَ عَنِ الْمَيِّتِ تَنْتَهِيُ الْمَيِّتُ وَيَصْلَهُ تَوَابَهَا ، وَهُوَ كَذِيلٌ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ ” انتهى .

فالانشغال بخدمتها ، والدعاء لها بالغيب ، ووصلها بالمال والطعام ونحوه هو المشروع ، دون التصدق عنها ، فإنه لا دليل على مشروعيته - فيما نعلم - .

والله أعلم .